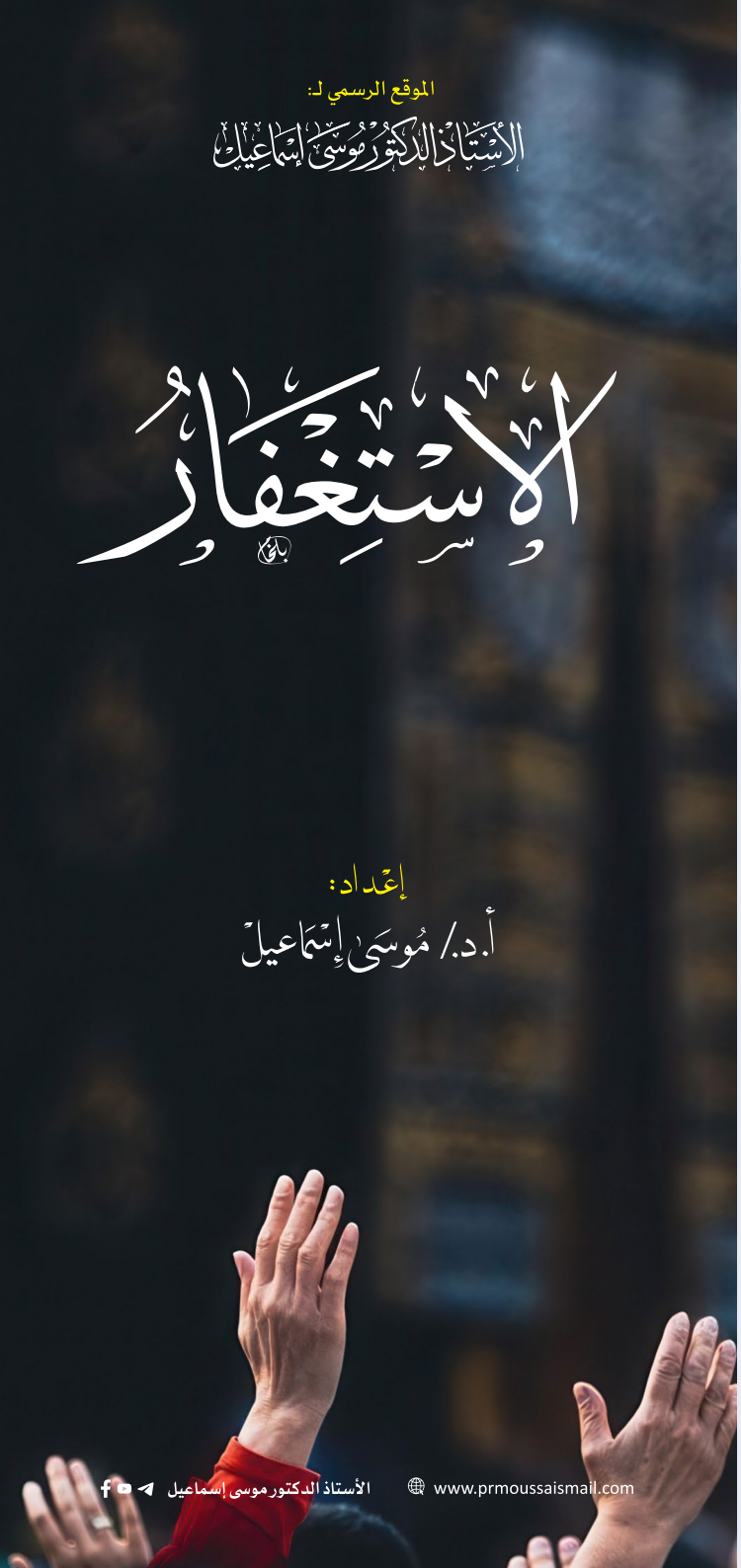

وهم أطهر الخلق قلوبًا، وأنقاهم سريرةً، وأكملهم خُلُقًا، وأتقاهم لله وأشدّهم طاعة له، ومنزّهون عن الهوى، ومبرّؤون من الذّنوب، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ففي قصّة آدم عليه السّلام حين أكل من الشّجرة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿37﴾﴾ [البقرة: 37].

والكلمات التي تلقّاها آدم عليه السّلام هي ما ذكره الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿23﴾﴾ [الأعراف: 23].

وفي قصة موسى عليه السّلام قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿16﴾﴾ [القصص: 16].

وأمر الله تعالى خاتم أنبيائه بالاستغفار فقال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿3﴾﴾ [النصر: 3].

فكان ﷺ كثير الاستغفار، ففي الصّحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ».

وروى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

وهو عليه الصلاة والسلام مع كونه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كان يكثر من الاستغفار،

حتى يستغفر في المجلس الواحد مائة مرة، فغيره بطريق الأولى والأحرى أن يَجِدَّ في الاستغفار وَيُكْثِرَ منه.

وذكر الفخر الرّازي في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب في معنى استغفار النّبيّ ﷺ وجوهًا فقال: «أحدها: أنّ استغفار النبي جار مجرى التسبيح، وذلك لأنه وصف الله بأنه غفّار.

وثانيها: تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره، إذ لا يأمن كلّ مكلَّف عن تقصير يقع منه في عبادته، وفيه تنبيه على أنه مع شدة اجتهاده وعصمته ما كان يستغني عن الاستغفار، فكيف من دونه.

وثالثها: أن الاستغفار كان عن ترك الأفضل.

ورابعها: أن الاستغفار كان بسبب أن كل طاعة أتى بها العبد، فإذا قابلها بإحسان الرب وجدها قاصرة عن الوفاء بأداء شكر تلك النعمة، فليستغفر الله لأجل ذلك.

وخامسها: الاستغفار بسبب التقصير الواقع في السلوك، لأن السائر إلى الله إذا وصل إلى مقام في العبودية ثم تجاوز عنه، فبعد تجاوزه عنه يرى ذلك المقام قاصرا فيستغفر الله عنه، ولما كانت مراتب السير إلى الله غير متناهية، لا جرم كانت مراتب هذا الاستغفار غير متناهية».

الاستغفار

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أمّا بعد؛ فإنّ من شأن الإنسان أن يذنب ويخطأ، لما جُبِلَ عليه من حبّ الشّهوات، ولا بُدَّ له من الرّجوع إلى ربّه والإنابة إليه والاستغفار من ذنوبه، طلبًا للعفو والصّفح ومحو السّيّئات، ومن رُزِقَ الاستغفار لم يُحرَمَ المغفرة.

معنى الاستغفار:

الاستغفارُ: استفعالٌ من المغفرة، أي طلب المغفرة، والمغفرةُ السَّتْرُ للذنوب والعفو عنها، يُقَالُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ غَفْرًا وغُفْرَانًا ومَغْفِرَةً.

قال الأزهري في تهذيب اللّغة: «أصلُ الغَفْرِ: السَّتْرُ والتَّغطيةُ، وَغفر الله ذنوبَهُ، أَي سَترها وَلم يَفْضَحْهُ بهَا على رُؤُوس الْمَلَأِ، وكلُّ شَيْءٍ سترتَهُ فقد غفرتَهُ».

الفرق بين التوبة والاستغفار:

الاستغفار طلب المغفرة، والتّوبة النّدم على ما سلف والعزمُ على ترك العَوْدِ في الذّنوب.

وقد وردت آيات وأحاديث بذكر التّوبة والاستغفار، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ

إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿74﴾ ﴾ [المائدة: 74].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿90﴾ ﴾ [هود: 90].

قال ابن قدامة في جامع العلوم والحكم: «وكثيرًا ما يُقْرَنُ الاستغفارُ بذكر التّوبة، فيكون الاستغفارُ حينئذٍ عبارةً عن طلب المغفرة باللّسان، والتّوبة عبارة عن الإقلاع عن الذّنوب بالقلوب والجوارح».

من أسماء الله الحسنى الغفّار والغفور:

قال الله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿66﴾ ﴾ [ص: 66].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿82﴾ ﴾ [طه: 82].

وقال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿49﴾ ﴾ [الحجر: 49].

والغفّار والغفور من صيغ المبالغة، ومعناهما السّاتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم.

وجوب الاستغفار عند حصول الذنب:

الاستغفار عند حصول الذّنب واجب، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا، دلّ على وجوبه قوله تعالى مخبرًا عن قول نوح لقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿10﴾ ﴾ [نوح: 10].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ

وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿74﴾ ﴾ [المائدة: 74].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿6﴾ ﴾ [فصلت: 6].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿106﴾ ﴾ [النساء: 106].

استحباب الاستغفار لما يحصل من التقصير.

الاستغفار مستحب في كلّ وقت ومكان، وعلى كلّ حال، لما يقع من الخطأ والنّسيان، ومخافة ما يحصل من التّقصير في الحسنات، وحذرًا من عواقب الهفوات، وعليه يدل قوله تعالى عقب آيات الحجّ: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿199﴾ ﴾ [البقرة: 199].

ويدل عليه أيضًا كثرة استغفار النّبيّ ﷺ وهو المعصوم من الكبائر والصّغائر، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**».

وروى مسلم عن الأَغَرِّ المُزَنِيِّ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**».

الاستغفار سنة الأنبياء والمرسلين.

كان من سنّة الأنبياء الاستغفار خوفًا من التّقصير،